عدد 12 (1999) ، 156-143

دور المخلفات الأثرية في دراسة التاريخ القديم

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إعطاء فكرة عامة عن أهمية المخلفات الأثرية _ على اختلاف أنواعها وأشكالها - كمصدر من المصادر التاريخية الهامة في دراسة التاريخ، بشكل عام، والقديم بشكل خاص. كما ترمي إلى التحسيس بقيمتها وفائدتها، حتى يمكن الاعتناء بالتنقيب والبحث عنها، والحفاظ وصيانة الموجود منها كمعالم أثرية تبرز مساهمة السلف من سكان هذا الوطن، أو من غيره في الحضارة البشرية.

أ. عبدالعزيز بن الأحرش
قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
جامعة منتوري
قسنطينة، الجزائر

سوف أتعرض، من خلال هذه المقالة حول بعض القضايا المعرفية التي تخص المخلفات الأثرية، وكيف يتعامل معها الباحثون في دراسة التاريخ القديم على الخصوص، نظرا لما تثيره من اهتمام لدى الكثير من الناس وفضولهم، هذا الفضول والاهتمام يختلف من شخص إلى آخر، ولكل واحد منظاره الخاص الذي ينظر به لهذه المخلفات، مما أدى إلى تباين في درجة الاهتمام بها. ويعكس هذا كيفية التعامل معها من زوايا مختلفة.

فواحد ينظر إليها من منظور نفعي ومادي بحت، ويكون الدافع، أو الرغبة في الاعتناء بالمخلفات الأثرية بمقدار ما تدر عليه من ربح أو فائدة يجنيها من بيعها، بسبب قيمتها الجمالية والفنية، لكونها تحفة راقية الصنعة والإتقان. أو بسبب نوعية المادة المصنوعة منها: معدن نفيس، أحجار كريمة... الخ.

وآخر يقتنيها، أو يجهد نفسه في البحث عنها قصد التفاخر والتباهي باكتسابها وعرضها على الناس، بغرض الشهرة وكسب المكانة الاجتماعية لا العلمية داخل المجتمع.

وهذان النوعان من الأفراد لا تهمهما الكيفية التي تتم بها عملية البحث واستخراج المخلفات الأثرية، مهما كانت طبيعة المادة المصنوعة منها؛ حجر، معدن، خشب، الخ.

Résumé

Cet article a pour but de faire connaître le rôle que joue les vestiges archéologiques dans l'écriture de l'histoire des civilisations qui ont disparu de la surface de la Terre. Grâce aux fouilles nous avons pris connaissances de ce passé glorieux. Plus, comment donner l'intérêt, à tous les niveaux, à ce patrimoine qui gît sous terre et comment sauvegarder au mieux celui de la surface et en même temps, revaloriser la recherche et la fouille archéologique pour réécrire notre histoire ancienne qui nous interpelle tous les jours.

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر1999.

- وثالث ، يختلف عن النوعين السابقين ، لأن همه لم يكن دافعه المنفعة المادية، لكن لغاية علمية ومعرفية. لهذا اتبع طرقا وأساليب محددة في كيفية التعامل مع مختلف اللقى الأثرية التي يستخرجها من باطن الأرض. وفي بحثه لا تهمه الناحية الجمالية، أو نوعية المادة المصنوعة منها، بقدر ما تقدمه من معلومات تاريخية، تمكنه من تفسير الأحداث التاريخية التي عرفتها المنطقة التي وقع فيها التنقيب. فكل البقايا، مهما كان شكلها، أو نوعية المادة المصنوعة منها، رائعة الصنعة، أو فجة، صغيرة، أم كبيرة، محطمة أو سليمة، كلها تدخل في مجال اهتمامه ويقوم بجمعها والاعتناء بها. بمعنى آخر هو مطالب بجمع كل البقايا التي يقع نظره عليها عندما يقوم بالحفر في موقع اثري، من غير أن يكون مقيدا بانتقاء نماذج محددة مسبقا. فعالم الآثار عندما يبدأ في الحفر، بعد تحديد الموقع، فلا يعرف مسبقا ماذا سيجد في هذا الموقع، فكل ما يستخرجه فأس الباحث يعتبر مهما. عكس النوعين السابقين الأولين اللذين يقومان بعملية الفرز والانتقاء للأشياء والبقايا ذات الشكل المميز والمنظر الجميل والنادر الوجود وثمين القيمة. فهذه المعايير التي يتبعونها في عملية الجمع للآثار، وهي معايير لا تدخل في الاعتبار، إلى حد ما، عند النوع الثالث من الباحثين.

وعملية التنقيب عن المخلفات الأثرية، مهما كان نوعها وشكلها يقوم بها عالم الآثار المتخصص الذي ينقب عن المصادر المادية التي تركها سكان منطقة ما وقد دفنت في الأرض نتيجة عوامل طبيعية وطول المدة الزمنية التي مرت عليها. القصد من وراء ذلك تقديم أدلة إضافية تساعد على إلقاء مزيدٍ من الضوء على فترة تاريخية من تاريخ مجتمع ما. وبواسطتها يتعرف على مختلف الأنشطة التي قام بها أفراد المجتمع ضمن بيئة طبيعية واجتماعية معينة، وعلى امتداد مراحل، أو مرحلة تاريخية.

لا يُفهم، من هذا ، بأن النواحي الأخرى - الفنية، الجمالية، الشكلية، ونوع المادة المصنوعة منها - ليست لها قيمة في نظر الباحث المؤرخ، أو عالم الآثار. فالعكس هو الصحيح. فكيف يتسنى له أن يتعرف على التاريخ الفني المتمثل في: النقش، النحت، الرسم، وغيرها - ومدى تطوره وأهميته في حياة الإنسان القديم، إذا ما أهملها وتغاضى عنها. من خلالها يتعرف على المستوى الفني والجمالي للبقايا الأثرية، ويقف على درجة اهتمام هؤلاء البشر في العناية بما يصنعون من أدوات، وعلى ضوئها يمكن له أن يحدد مستوى رقيه، أو انحطاطه عبر مراحل تاريخه.

لذا يكون الحديث منصبا على هذا النوع من المهتمين بالبحث وجمع ودراسة البقايا الأثرية لقيمتها وأهميتها المعرفية فهذا الصنف من الآثار أصبح يشكل مصدرا أساسيا في كتابة تاريخ المجتمعات البشرية القديمة، طبعا، إلى جانب المصادر الأدبية، أي المدونة والمسجلة على أنواع مختلفة من المواد التي استعملت لهذا الغرض. لكي نقف على المكانة والأهمية التي صار يوليها المؤرخون ودارسو التاريخ تجاهها (1)، وكيف أن قيمتها المعرفية والخبرية تعدت وتجاوزت قيمتها الجمالية والفنية، حيث أن المعلومات المستقاة منها تتميز بالدقة والموضوعية أكثر مما تتميز به كتابات المؤرخين القدماء (2)، التي تنحو بعيدا عن الدقة العلمية ويطغى عليها خيال الروائي وليس واقعية المؤرخ المدقق فيما يكتب ويستنتج.

حتى تتضح الصورة أكثر لدى القارئ، نعرض مختلف العصور التاريخية التي مرت بها البشرية، وكيف تم تقسيمها على هذا الشكل وعلى ضوء أي نوع من المصادر كان الاعتماد يتم.

التاريخ والعصور القديمة

كلمة التاريخ في أبسط معانيها كما يفهمها الإنسان العادي، لها معنى محدد تقريبا، وهو "التلفت إلى الماضي ومحاولة استذكاره واستعادة أحداثه " (3). لكن هذه الكلمة ارتبطت لدى الباحثين بمعنيين مختلفين: " تستعمل عادة للتعبير عن حصيلة النشاط الإنساني في الأزمنة السابقة . ويأتي استخدامها بهذا المعنى مقرونا عادة بالعبارة التي كثيرا ما تترامى إلى أسماعنا، وهي عبارة ((والآن يصنع التاريخ)). هذا ما يحدث عادة عند الكلام عن فترة نشطة أو عصر حافل بالأحداث الهامة من صور النشاط البشري. أما الاستعمال الأكثر شيوعا فهو ذلك الذي يعتبر التاريخ سجلا للأحداث لا مجرد سرد للأحداث ذاتها. وهذا الأخير الأكثر تقبلا وشيوعا يمدنا بتعريفيين للتاريخ : الأول موضوعي؛ وهو على حد قول (جيمس هارفي روبنسون) ((كل ما نعرفه عن كل شيء فعله الإنسان أو فكر فيه أو أحس به أو تمناه)) أما التعريف الثاني – وهو إلى حد كبير تعبير موضوعي ونفساني؛ فهو: أن التاريخ سجل لكل ما حدث داخل نطاق الإدراك البشري (4).

وإذا أخذنا بعين الاعتبار التعريف الموضوعي يعني أن التاريخ هو مختلف الوقائع والأحداث التي كان وراءها الإنسان في الماضي البعيد، أو القريب، وإنها كانت تتراكم إلى جانب بعضها البعض إلى غاية أن صارت تشكل سلسلة طويلة، ذات حلقات متصلة ومتشابكة. وإذا كان الحدث التاريخي يقف وراءه الإنسان، فلا ننس عاملين آخرين يتدخلان كثيرا في الإحاطة به وفي تشكيل الحدث والواقعة التاريخية، مهما كان طابعها أو خصوصيتها أو مظهرها: سياسية، اقتصادية، حربية ... وهما البيئة الطبيعية بمختلف مظاهرها - الإقليمية المناخية، وعنصر الزمان الذي يقع داخله وفي ثناياه كل حدث تاريخي.

والإنسان له متطلبات أساسية ورغبات عديدة، من أهمها الرغبات البيولوجية: مأكل، ملبس، وتكاثر. وهذا لا يعني أن بقية الرغبات الأخرى النفسية، ثانوية، فكثيرا ما يكون الثانوي أساسيا في الحدث التاريخي. ولتحقيق هذه الرغبات، كان عليه أن يواجه أشكالا مختلفة من الضغوط في شكل تحديات؛ طبيعية اجتماعية، اقتصادية ... وهذه التحديات كان عليه مجابهتها بكيفية ما، إن بالتغلب عليها، أو التكيف والتفاعل معها. وعملية الاحتكاك والتفاعل هي التي تمدنا بأقدم أدلة أثرية عن وجود البشر على الأرض وعن نوع النشاط الذي كانوا يقومون به.

إن المؤرخ أثناء دراسته وبحثه لأي واقعة تاريخية ، يحاول أن يرجعها إلى ظروفها الموضوعية، الزمن، البيئة، والشروط والعوامل المحيطة بها، حتى يتحقق من حقيقتها كواقعة وحدث تاريخي، ويتمكن من التعرف عليها وفهمها فهما موضوعيا قصد تقديم التفسير الذي توصل إليه بشأنها، وفقا لهذا الواقع الموضوعي. لهذا تكون عملية

التأريخ، بالنسبة للمؤرخ عملية مزدوجة، إلى جانب القيام بعملية التسجيل للأحداث، فهو مطالب بتفسيرها وشرحها، حتى لا تبقى مجرد عملية سرد لا روح فيها.

لقد اعتاد مؤرخو الحضارات أن ينظروا إلى هذه الوقائع والأحداث الماضية من حياة البشرية نظرة عامة، على أنها تمثل سلسلة من الأحداث المتنوعة المظاهر المتصلة الحلقات ، اخذين بعين الاعتبار جملة من الأحداث كمؤشرات عامة تقف وراء سيادة منطقة حضارية، أو انتقال هذه السيادة إلى مناطق أخرى، وهي:

الأحداث السياسية: حروب، فتوحات، انقلابات، تكوين مملكة، دولة، إمبراطورية، أو انهيار لهذه الكيانات.

الأحداث الاقتصادية: نوع الاقتصاد القائم، نوع وسائل الإنتاج المستعملة ...الخ .

الأحداث الاجتماعية: الفئات الاجتماعية، العائلة والأسرة ...

الأحداث الفنية: أنواع الفنون الموجودة، مستوى النحت، والرسم، النقش، الهندسة المعمارية ... الخ.

فمجموع هذه القضايا، وغيرها كثير ، يشكل سلسلة ذات حلقات متصلة لتاريخ مجتمع معين يمكن دراسته على المستويين العمودي والأفقي. ونفس الشيء ينطبق على تاريخ البشرية برمتها، بغرض الوقوف على مختلف المظاهر الحضارية والثقافية التي تسمح بشكل ما بالتمييز، أو التعرف على خطوات التطور التي مر بها مجتمع ما، ومدى تأثره وتأثيره بـ، وفي، المجتمعات الأخرى.

وبالتركيز على جملة من السمات والابتكارات الهامة والبارزة في حياة أمة أو مجتمع، أو في حياة البشرية عموما، قسم المؤرخون هذه السلسلة الطويلة من تاريخ البشرية إلى عدة عصور تاريخية، تتفاوت مدتها الزمنية من عصر لآخر، وحددوا لكل عصر بداية ونهاية، بالتركيز على بعض الأحداث الهامة والبارزة في حياة بعض الشعوب. وفيما يلي كلمة مختصرة عن عصرين من بين الخمسة عصور التي قسم إليها تاريخ البشرية الكلي: "عصر ما قبل التاريخ " والعصر القديم " قصد أخذ فكرة عنهما.

1 - عصر ما قبل التاريخ.

إن الأدلة والمخلفات التي تم اكتشافها من قبل علماء الآثار خلال مدة قرن ونصف من الوقت الحالي (5)، تدل على أن هذا العصر قد بدأ منذ أكثر من مليوني سنة، وانتهى منذ حوالي أقل من ستة آلاف سنة الماضية (6)، مع بداية ظهور الكتابة في منطقة الشرق الأدنى القديم. وخلاله حققت البشرية جملة من الإنجازات الهامة في حياتها ، وبقيت الأجيال تحافظ عليها، وتضيف إليها وتحسن منها إلى غاية وصولها إلينا في الوقت الحالي . ويمكن إيجازها في الإنجازين الهامين التالين:

أ - معرفة كيفية الحصول على الغذاء، وذلك بصنع الأدوات اللازمة لهذا الغرض، وكانت في الأساس من الحجارة، الخشب، عظام الحيوانات، في بداية الأمر ثم اهتدى الإنسان إلى الصناعة المعدنية في آخر هذا العصر الطويل كما تعرف على مختلف أنواع الموارد الضرورية لقوته من: ثمار، فواكه، خضر، بقول، درنيات ... إلى جانب اكتساب خبرات ومعارف لصيد مختلف الحيوانات التي اعتاد على أكل لحمها. فكانت

التجمعات السكانية التي عاشت خلال هذه الفترة، مجتمعات جني وقطف الثمار وصيد الحيوانات، وكثيرة التنقل من موقع إلى آخر تتابع في ذلك أماكن وجود هذه الموارد الغذائية على امتداد مساحات شاسعة وأقاليم مناخية وتضاريسية ونباتية متنوعة، عبر فصول السنة. ولم تعرف الاستقرار الدائم إلاّ مع اكتشاف الزراعة كما سنرى.

ب - التوصل إلى إنتاج الغذاء (7). ويتمثل في استئناس بعض الحبوب التي كان يعتمد عليها في السابق مثل حبوب القمح البري والشعير وغيرهما من الخضر التي توصل إليها في بعض المناطق من جنوب غرب آسيا (8) ويعتبر هذا الإنجاز نقلة نوعية في حياة البشرية التي تستحق أن يطلق عليها، عن حق، مصطلح " الثورة النيولوتية " (9). وهذه النقلة النوعية تتمثل، في النواحي التالية بشكل عام:

- تخلت مجتمعات الشرق الأدنى عن التنقل وركنت إلى الاستقرار ضمن بيئات طبيعية مناخية ملائمة لمعيشتها عمل الإنسان فيها على ضمان مورد غذائي دائم يطمئنه على حياته وحياة أبنائه، مما دفعه إلى الالتفات نحو تحسين ظروفه الاجتماعية والاهتمام بالقضايا الفكرية، أو الدينية والفنية ...الخ.

لقد كانت هذه النقلة، وراء التطور السريع الذي بدأت تعرفه البشرية، في جميع مناحي ومجالات الحياة، مقارنة مع الإنجازات التي حققتها في الفترة السابقة ، أي خلال العصر الحجري القديم.

يتضح هذا، عندما نأخذ بعين الاعتبار المدة الزمنية التي استغرقتها كل فترة من هاتين الفترتين. بالنسبة لمرحلة "التنقل " فقد بدأت منذ حوالي مليونين وثلاثمائة سنة، وفقا للاكتشافات الأثرية التي تعكس هذا التاريخ، وانتهت في حدود العشرة آلاف سنة الماضية (10) عندما عرف الإنسان الزراعة التي فرضت عليه الاستقرار النهائي. فماذا تساوي عشرة آلاف سنة من حياة البشرية أمام تلك المدة الطويل. لكن من حيث نوعية الإنجازات والابتكارات التي توصل إلى تحقيقها في الفترة الأخيرة لا تعد ولا تحصى، مما جعلها تتجاوزها من هذه الناحية، أي في نوعية التطور الذي عرفته البشرية، ففي خلال فترته الأخيرة والقصيرة كانت وتيرة التطور سريعة جدا، بفضل الاستقرار وممارسة الزراعة.

2 - العصر القديم.

يعد هذا العصر نتيجة منطقية لما حصل من تطور ورقي مجتمعات الشرق القديم في المرحلة السابقة. سرعة الابتكارات والإنجازات التي توصل إليها أدت به إلى إيجاد وسيلة التدوين التي أصبحت ضرورية تلبية للمتطلبات الجديدة الناتجة عن الازدهار الاقتصادي والتجاري الذي وصلت إليه كل من بلاد الرافدين (العراق حاليا) وبلاد واد النيل (مصر). وبهذا الاختراع الهام كانت بداية نهاية عصر ما قبل التاريخ هنا، ثم أخذت وسيلة التدوين توسع من مجال انتشارها خارج مراكزها الأصلية إلى مناطق أخرى جعلت سكان الأقاليم التي وصلت إليها تخرج هي الأخرى من عصر ما قبل التاريخ وتدخل حظيرة العصر التاريخي الذي يبدأ بمرحلة يطلق عليها " العصر القديم " منذ حوالي 3300 سنة قبل ميلاد المسيح. ولقد عرف هذا العصر تطورا هائلا في

عدة مجالات: تطور القرى الصغيرة إلى مدن ذات كثافة سكانية معتبرة، ازدهار اقتصادي وتجاري سمح بربط علاقات متنوعة، بين تلك المدن في أول الأمر ثم مع مدن خارج مناطق نفوذها وسيطرتها - تجارية، سياسية حربية - (11) وخلاله أيضا تأسست الكيانات السياسية الكبرى في شكل مملكات، إمبراطوريات، أو إمارات، وفي شكل دولة-المدينة، كما سادت لمدة طويلة في العراق القديم. كما تغيرت مواقع النفوذ الحضاري من بلاد وادي الرافدين ومصر الفرعونية إلى بلاد اليونان، وبلاد المغرب أثناء الفترة الفينيقية ، ثم إلى منطقة بلاد إيطاليا التي عرفت نشوء وميلاد الإمبراطورية الرومانية. كل هذه الأحداث وقعت خلال مدة زمنية تقدر بحوالي ثلاثين قرنا من الزمن تقريبا.

دور الباحث في الكشف عن المصادر المادية

مما تقدم يتبين بشكل أكيد ، بالنسبة للباحث ، بأن الحضارة العالمية الحالية تشكلت مقوماتها الأساسية خلال العصور السابقة، التي توصل المؤرخون إلى رسم خطوط مسارها العام وفقا لخط سير يتوجه إلى الأمام بإتباع انتقال مشعل الحضارة من منطقة إلى أخرى بعد أن يعتريها الضعف والجمود.

كما أن هذه التقسيمات لتاريخ البشرية، على النحو السابق ، جاءت نتيجة الجهود التي بذلها المؤرخون منذ عدة قرون من البحث والتنقيب، بحيث بينت أعمالهم أن مركزية التاريخ العالمي ومحوره هو حوض البحر الأبيض المتوسط. وهذا يبرهن على أن هذا الحوض قد شكل منذ أقدم عصوره وحدة جغرافية وحضارية ذات معالم واضحة أنتجتها عبقرية إنسان هذه البيئات المحيطة به في كل من شمال إفريقيا (بلاد النيل، وبلاد المغرب) جنوبي غرب أسيا (العراق بلاد الشام شبه جزيرة العرب، تركيا) بلاد اليونان وجزره، إيطاليا، وكذلك ما قدمته من مساهمة تلك الجزر العديدة المتناثرة، أو العائمة في وسطه، مثل جزيرة كريت قبرص وجزر بحر إيجه.

وإلى كل هذه المناطق والأقاليم يعود الفضل في بناء أسس الحضارة العالمية، التي بدأت مع اختراع الكتابة التي سهلت مهمة الاتصال والتبادل الفكري والعلمي بين شعوبها.

وإن دور الباحث هو التنقيب عن الأدلة والبراهين المادية وغيرها التي تتحدث عن مختلف الوقائع والأحداث الماضية، وبها يزيد تعرفا وفهما لمقومات الحضارات السابقة التي ظهرت، منذ مولدها وتتبع تطورها وانتشارها خارج مراكزها الأصيلة، بهدف التعرف على عناصر التأثر والتأثير التي وقعت بين مختلف الحضارات التي تشكل عموم تاريخ البشرية الحالية. ويتم هذا وفقا لمنهجية مضبوطة وفلسفة واضحة يعتمد عليها في تقديم التفسيرات والشروح الملائمة، التي توصل إليها، حول كيفية حدوث هذه التغيرات التي مرت بها البشرية في حياتها، ويبحث عن العوامل العامة، أو الخاصة التي تتحكم في تطورها وتقدمها نحو الازدهار، أو تعيقها عن ذلك.

ولتحقيق هذه الغاية ينبغي الاعتماد على جملة من المصادر الخبرية التي مكنته من التمييز بين الحقائق التاريخية والمظاهر الأخرى غير التاريخية التي وقعت في

الماضي، لأنه لا يمكن أن تكون لكل الوقائع نفس درجة الأهمية من التأثير على مسار حياة المجتمع ، ولو كانت غير ذلك بالنسبة للفرد. بمعنى آخر، هناك أحداث وقعت في الماضي وقد نساها البشر لأنها لم تكن ذات أهمية في حياتهم، وهناك نوع آخر استطاع المجتمع أن يحس بأثرها وبقي يتذكرها عبر الزمن، وينقل أخبارها عن طريق الرواية من جيل إلى آخر، إلى غاية تدوينها وتسجيلها، ونجد نوعا آخر من الأحداث كان يسجل وقت حدوثه على مواد مختلفة مثل: الطين، ورق البردي، الحجر، الجلود أو على النصب التذكارية وأضرحة الموتى، أو رسمت ونقشت على الأواني الفخارية والجدران والصخور التي جسدها في تماثيل ... الخ . كما كان سائدا ومنتشرا في تاريخ حضارات الشرق الأدنى القديم (بلاد الرافدين ومصر الفرعونية). لأن الكتابة أول ما ظهرت، قد ظهرت هنا، واقتصرت على تسجيل أعمال الحكام من ملوك، أمراء، أباطرة وقادة الجيوش .. وأهملت الجوانب الحضارية الهامة في حياة عامة الشعب .
والسؤال المطروح هو: أين توجد هذه المخلفات المادية التي تعد أساسية في التعرف وفهم وتفسير حياة الشعوب القديمة ؟ وكيف يتم الحصول عليها ؟ إن جل المخلفات الأثرية توجد مدفونة تحت التراب، أو في العراء، مثل بقايا المباني - قصور، معابد منازل - فيتم الحصول عليها عن طريق التنقيب، الذي يقوم به عالم الآثار ومن معه، يعتمدون في ذلك طرقا وأساليب علمية مضبوطة لاستخراجها من تحت التراب، والقيام بترميمها وصيانتها، ثم دراستها وتقديم المعلومات التاريخية، أو الفنية، أو التقنية، التي تم استنتاجها واستنباطها من فحصهم لها.

وتتشكل المصادر التي يستقي منها الباحث معلوماته، في دراسته للمرحلة القديمة من تاريخ البشرية، من نوعين أساسين:

النوع الأول: عبارة عن مصادر **" أدبية "** تكون المعلومات مسجلة ومكتوبة على مواد مختلفة، وهي موجودة في شكل سجلات، مخطوطات. ويدخل ضمن هذا النوع كل الآثار المدونة، بحيث أن الخبر، أو المعلومة الخاصة بالواقعة التاريخية تقرأ.

النوع الثاني: يتكون من كل المصادر **" المادية الصامتة "** التي تختلف عن النوع الأول بانعدام الكتابة عليها. وتتمثل في كل البقايا والمخلفات التي أنتجها البشر بأيدهم بحيث تعكس المستوى الفكري، و تخبرنا عن جوانب متعددة من حياة أصحابها. وهذه المصادر المادية الصامتة توجد في أغلبها تحت أديم الأرض، بينما الموجودة فوقه تكون على شكل أثار المباني، بقايا المنازل والقصور والمعابد، القلاع والحصون، الأسوار، المسلات، الأضرحة والقبور، إلى غير ذلك. ومنها التماثيل على اختلاف أشكالها ووظائفها؛ كاملة أو ناقصة. بالإضافة إلى المنحوتات الصخرية المعروفة والتي تكون في بعض الحالات مجرد خربشات، أو محاولة للرسم، أو هي أشكال وصور حيوانات، كما هو الشأن بالنسبة للرسوم الجدارية التي تزخر بها مناطق كثيرة من العالم، وعلى الخصوص مناطق الأطلس التلي والقطاع القسنطيني، وجبال الهوقار في الصحراء. كما تدخل الأدوات والأثاث المنزلية ضمن اهتمامات الباحث، لمعرفة نمط معيشة السكان والمستوى الحضاري الذي بلغوه. أما بقايا الأسلحة يستفاد منها في معرفة أساليب القتال والوسائل المسخرة لها، ومدى تطورها من مرحلة إلى أخرى. إلى

غير ذلك من ثوابت مادية تصلح كمصادر أساسية لاستجلاء المعلومات الخبرية عن الوقائع والأحداث التاريخية في شتى الميادين من حياة مجتمع ما وخلال فترة زمنية من تاريخه.

وإن قيمة وأهمية هذا النوع من المخلفات لا تقل قيمة، بل في كثير من المرات تكون أفضل، عن تلك المصادر الأدبية، باعتبار أن يد الإنسان وطريقة إنتاجه للأشياء لا تقلان عما يصدر من فمه من أقوال. فهي صادقة تصور الحياة اليومية للإنسان. وأن الاعتماد على النوع الأول من المصادر يكون مباشرا، عكس النوع الثاني الذي يتطلب جهدا فكريا وتأملا واستنباطا للمعلومات، وهذا يأتي مع خبرة الباحث وتعامله مع هذا النوع من المصادر، التي يظهر فيها خبرة جيدة لاستنطاقها ويقدم المعلومات التي توصل إليها.

عندما نتتبع تأريخ الكتابة التاريخية، منذ أن بدأت، في القرون الماضية، في شكل حوليات ومخطوطات نجدها قد مرت بمرحلتين كبيرتين:

الأولى: كان فيها يعتمد في تسجيل الأحداث والوقائع التاريخية على الاستماع إلى الرواية الشفوية، أو نقلها عن الأشخاص الذين كانوا وراء صنع الحدث نفسه. وهذا ما نستشفه من مختلف الكتب التاريخية الكلاسيكية التي يطغى عليها طابع السرد للأحداث السياسية والعسكرية التي تُظِهر، بشكل ملفت للانتباه، دور وأسماء الملوك والأمراء والأباطرة، الذين كانوا يتربعون على عروش دولهم، أي إظهار مكانة الفئات الحاكمة بشكل عام فكانت هذه المصادر غارقة في القصص الخرافية والأساطير التي تحكي أعمالهم الخارجة عن أعمال البشر، وتسبغ عليها صفات إلهية في كثير من الأحيان.

الثانية: أصبح يعتمد فيها المؤرخ، إلى جانب المخطوطات والسجلات المكتوبة، على البقايا المادية الصامتة من الآثار التي تركها المجتمع من ورائه مدفونة في الأرض، أو بارزة على السطح. وقد مت الكثير من التفاصيل والتوضيحات الإضافية، ومعلومات جديدة ، بالنسبة للباحث المعاصر، لأنها لم تدون أو تسجل من قبل المؤرخين القدماء.

لذا نجد أن المؤرخين المعاصرين، في كتابتهم ودراستهم لمرحلة التاريخ القديم يعتمدون كثيرا على هذين المصدرين، بغرض تقديم معرفة تاريخية متكاملة من جميع جوانب حياة المجتمع محل البحث. على خلاف المؤرخين القدماء. وهذا ما يطرح على كل مهتم بهذا الموضوع جملة من التساؤلات، تتطلب وقفة معها.

فالسؤال الذي يطرح الآن، وقد تتفرع عنه أسئلة جزئية أو ثانوية، هو: لماذا اعتمد المؤرخون المعاصرون على هذا النوع من المصادر الصامتة، اعتمادا يكاد يكون كليا؟ هل لقصور في النوع الأول ؟ وهل هذا الإجراء جديد، أم قديم؟ وما هي الدوافع إلى ذلك ؟ وما هي الفترات التاريخية التي تدرس، باللجوء إلى هذا النوع من المصادر الصامتة وتكون مفيدة وذات قيمة علمية هامة، دون مراحل أو فترات تاريخية أخرى؟

للإجابة عن هذا السؤال الكبير المتفرع، أبدأ بتوضيح جوانب تتعلق بالسؤال الفرعي الأخير، ومن خلاله تأتي الأجوبة عن الأسئلة الفرعية الأخرى، ومن ثم يكون الوقوف على الجواب حول السؤال المطروح.

إن المؤرخين المختصين في دراسة تاريخ الشعوب القديمة (العراق، مصر، اليونان، بلاد المغرب، الرومان ..) هذا التاريخ الذي يعتبر مرحلة هامة من تاريخ البشرية عامة، يعتمدون بشكل كبير وواسع على المخلفات الأثرية التي تركتها هذه الشعوب، خلال العصر القديم الممتد ما بين 3300ق.م -476م، قصد إسباغ نوع من المصداقية على النصوص الكلاسيكية المكتوبة، والتأكد من صحة الأخبار التي دونتها. وفي حالات كثيرة كانت المصادر المادية بمثابة أدلة وبراهين دعمت المعلومات السابقة، أو فندت جزءا منها وقدمت معلومات بديلة عنها وجديدة كل الجدة، كما عملت على تصحيح البعض منها (12).

لهذا نجد أن فترة التاريخ القديم، بشكل عام، سواء كانت تخص حضارات الشرق (مصر وبلاد الرافدين) أو حضارات الغرب (اليونان والرومان) أو حضارات شمال إفريقيا (الفينيقية والنوميدية) أو غيرها ، يعتمد في دراستها على هذين النوعين من المصادر: الأدبية والمادية الصامتة. النوع الأول، كما سبق ذكره، مملوء بالأخبار عن حياة الملوك والحكام، ونادرا ما تذكر شيئا عن حياة الأفراد البسطاء والعاديين ومن عامة الشعب. وهذا النقص والفراغ ملأه المؤرخون المعاصرون باللجوء إلى تلك الآثار والمخلفات التي وجدت مبعثرة داخل البيوت وبجانب المواقد وغيرها من الأمكنة التي استقر بها هؤلاء البسطاء من عامة الشعب.

أما العصر السابق على التاريخ المدون، فكانت ضالة الباحثين في تلك الأشياء التي تخص التجمعات السكانية التي تم العثور عليها، هنا وهناك، من المعمورة، والمتمثلة بشكل خاص في الأدوات الحجرية، التي كانت أول وسيلة ابتدعها البشر وصلت إلينا في حالة جيدة، بينما البقايا الأخرى المصنوعة من المواد العضوية: عظام الحيوانات، الخشب، لم تصل بنفس الشكل، ما عدا تلك التي ترجع إلى الفترة القريبة من الوقت الحالي حوالي 20 ألف سنة، أو أقل.

بفحص هذه العينات الحجرية توصل علماء ما قبل التاريخ إلى رسم صورة شاملة عن حياة بشر هذه الفترة، وتتبعوا الإنجازات والابتكارات التي حققوها، كما تعرفوا على خطوات التطور التي قطعوها في مسار تاريخهم الطويل جدا.

وعلم الآثار، الذي يعمل على استخراج مختلف المخلفات المادية من تحت الأرض، قدم للمؤرخين منذ بداية القرن الثامن عشر ميلادي وحتى يومنا هذا، معلومات هامة وأدلة كثيرة عن وجود حضارات لم تكن معروفة بشكل كاف (مصر الفرعونية، بلاد الرافدين، المغرب القديم، ..) وعن أخرى لم تكن معروفة على الإطلاق (حضارة السومريين في بلاد الرافدين) ولم يكن بإمكان المؤرخين الوصول إلى معرفة جذور وأصول مختلف الحضارات القديمة المعروفة إلى حد الآن، ووفقا لما هو متوفر من معطيات أثرية، التي كانت مطمورة، لولا عمل ومغامرات البعض من هؤلاء الباحثين لإزالة التراب عنها، وإعادة بعثها من جديد لتبهر العالم بما أنجزه الأولون في مختلف المجالات، وكيف وضعوا أسس الحضارات اللاحقة. كما أزاحوا التراب عن فترة ما قبل التاريخ، التي لم تكن معروفة مطلقا لدى المؤرخين الكلاسيكيين إلى غاية منتصف القرن الماضي.

وصارت هذه المخلفات تضبط الكثير من المعلومات المتوفرة، لأنها أكثر دقة، مما يقربها من الواقع المعيشي، كما كان وليس كما تخيله بعض المؤرخين والفلاسفة.

أما فيما يتعلق بالسؤال الأول وما تفرع عنه من تساؤلات جزئية، فمن خلال الإجابة السابقة يظهر جليا أن سبب اللجوء والاعتماد على هذا النمط من المصادر المادية الصامتة يعود إلى وجود نقص في المعلومات المقدمة بواسطة الكتابة، أو عن طريق الرواية الشفوية، لأنها اهتمت ببعض الجوانب والأحداث البارزة في حياة المجتمع، وهذا ليس عيبا، والتركيز على أبرز المظاهر الحضارية وليس كلها. فجاءت الصورة ناقصة. كما أن اللجوء إليها حديث لا تزيد ولا تتعد منتصف القرن التاسع عشر ميلادي، على إثر التنقيبات الأثرية التي تمت في كل من بلاد العراق، التي أخرجت من تحت التراب عدة مدن قديمة، مثل: مدينة **نينوى، بابل، خورسباد** ... وكذلك ما تم من عمل في بلاد النيل ، وبلاد المغرب من تنقيبات لمدينة **تيمقاد وتيديس، جميلة تيبازة** وغيرها من المواقع الأثرية.

أما الدوافع العامة لهذا التوجه فكانت مرتبطة بجملة من العوامل الفكرية والعلمية والسياسية التي كانت تعيشها أوربا منذ بداية عصر النهضة ، وما صاحب هذا العصر من زيادة الاهتمام بالقضايا التاريخية، وتفهم كبير لدور التاريخ في إيقاظ شعور المواطن تجاه وطنه وحضارته. فتراكم كمٌ معرفي هام، زاد في تنمية الإحساس والشعور بالانتماء إلى الحضارة الأوربية، ترتب عنه البحث عن أصولها التاريخية بالتنقيب وجمع مختلف الأدلة والبراهين، مهما كان شكلها ونوعها، لإثبات فرضية أن مقوماتها تعود إلى الحضارة الرومانية ، وأن هذه الأخيرة ترجع في عمقها الفكري والمادي إلى الحضارة اليونانية. فقامت حركة قوية للبحث في هذا المجال، عن الأصل المتجر في عمق الزمن والمتأصل في القارة الأوربية. وهذا يعني، في نظرهم، أن حضارتهم أصيلة ولم تستفد، أو تأخذ، أو تتأثر بما أنتجته شعوب الحضارات الخارجة عن دائرة أوربا، وسبقت ظهور ومولد الحضارتين اليونانية والرومانية. الأمر الذي فندته الأبحاث الحديثة التي اعتمدت على الآثار، وبينت مدى تأثر اليونانيين بحضارات الشرق الأدنى القديم في كل مجالات الحياة.

المؤرخون وعلماء الآثار الغربيون المعاصرون، جلهم يجمعون على أصالة حضارة الشرق باعتبارها " بحق مولدا للحضارة بوجه عام "(13) ويتساءل المؤرخ الألماني (أنطون مورتكات) كمؤرخ غربي، بعد أن يستعرض جملة من الإنجازات الحضارية التي أنجزت في منطقة الشرق القديم.: " ... أيعتقد بعد ... بأن الغرب قد توصل دون قدوة إلى كل هذه الأشياء، أو إلى أشياء غيرها مثل الحرف اليدوية التي علمنا الشرق إياها ؟ ... فسيبقى تأثير الشرق الروحي في ديننا وفننا ظاهرا إلى الأبد ... لا تعتبر بلدان الشرق الأدنى مركز الديانات السماوية وحسب بل مصدر الإشعاع الديني الذي أنار الأرض بأكملها "(14). أما صاحب العمل الهائل حول قصة الحضارة (ول . ديورانت) فإنه يرى في دراسة منطقة الشرق ديناً على الإنسان الأوربي والأمريكي، ويقول " ... فإذا درسنا الشرق الأدنى وعظمنا شأنه فأنا بذلك نعترف بما علينا من دين كان يجب أن يؤدى من زمن بعيد "(15). وكانت هذه الاستفاقة نتيجة

المعلومات التي قدمتها الأبحاث الأثرية وحققتها دراسة المؤرخين ذوي البعد الإنساني العالمي، لا الإقليمي.

وتشكل عمليات التنقيب عن الآثار الرومانية التي تمت في بلادنا، على يد المستعمر ، منذ أن وطئت أقدامه أرض الوطن ، وجها آخر للتوجه القديم الذي سيطر على الغربيين، على اختلاف انتماءاتهم الثقافية، أو الاجتماعية ، تعكس أطماعه في محاولة العثور على أدلة مادية لربط تاريخ هذا البلد بالتاريخ الأوربي. بمعنى آخر إيجاد المبررات التاريخية، لتكون واجهة أخلاقية لهذا السلوك الاستعماري. ونفس العمل قامت به إيطاليا التي اعتبرت نفسها الوريث الشرعي للإمبراطورية الرومانية، فحاولت أن تحيي أمجادها الدفينة من جديد، باللجوء إلى استعمار ليبيا والحبشة، واعتبرت ذلك أحد الحقوق الواجب عليها أداؤه تجاه الأجداد.

لكن هذا التوجه والاعتماد على الآثار المادية، قد اعتمدته الدول الخاضعة للاستعمار، أي بإتباع نفس الأسلوب لإبراز خصوصياتها التاريخية والثقافية المتميزة عن ثقافة وتاريخ المستعمر، مما دفع بها إلى التمسك بهذه الخصوصيات والدفاع عنها ووقوفها في وجه كل محاولة طمس وتشويه، أو دس لقضايا ليست لها صلة بتاريخ هذا الشعب. وبهذا التوجه عرف أن له جذور تاريخية تغوص في أعماق التاريخ العام من تاريخ البشرية. وله مساهمته في صنعه مثل بقية الشعوب.

فمن واجب كل فرد أن يعطي لمختلف المعالم الأثرية التي يزخر بها بلده أهمية ويعتني بها، ويقدر قيمتها التاريخية والعلمية، أي ينظر إليها نظرة إيجابية، على أنها ليست مجرد أشياء مادية رماها الأسلاف وعبث بها الزمن والحقيقة أنها لم يعبث الزمن وإن رماها الأسلاف.

إن نظرتنا لمختلف البقايا الأثرية التي تزخر بها بلادنا، سواء أكانت معالم تاريخية، مثل مواقع المدن القديمة ، أو تحف فنية معروضة في المتاحف ، يجب أن تكون نظرة مزدوجة. بمعنى آخر هناك بعض المخلفات الأثرية التي تركتها الشعوب التي مرت ببلادنا، فإنها تخبرنا عن المواقف التي اتخذها الأجداد في مواجهة هذا الدخيل، والتصدي له، وكيف حافظ على كيانه. والنوع الأخر من المخلفات قام بإنجازه هؤلاء الأجداد، فإنها تقدم لنا دليلا للمساهمة التي ساهموا بها في بناء وتطور الحضارة البشرية، مما يدفع فينا نوعا من الشعور بالافتخار والاعتزاز بما أنجزوه . وكلتا النظرتين تؤكد التاريخ القديم لهذه الأرض ومساهمة شعبها، تأثيراً وتأثراً في الحضارة البشرية والبحث عن المخلفات الأثرية الذي بدأ على يد الهواة وجامعي التحف الثمينة والنادرة تطور فيما بعد إلى علم قائم بذاته، له رجاله المختصون. ولم يعد الأمر مجرد هواية للتسلية. وبلدنا في حاجة إلى هذا النوع من التخصص، حتى نتمكن من القيام بعملية مسح لكل المواقع الأثرية وإجراء التنقيبات اللازمة، وصيانة الأماكن المهددة بالضياع نتيجة جملة من العوامل الطبيعية والبشرية، الاهتمام بها والبحث عنها تساعد المؤرخين على كتابة تاريخ هذه المنطقة وفقا لطرق ومناهج علمية حديثة.

إلى جانب هذا ينبغي القيام بعملية توعية وتحسيس للمواطنين بأهمية هذه المخلفات الأثرية والمعالم التاريخية، ونشر الثقافة المتحفية تبين أهمية هذه البناية التي جمعت

داخلها منجزات أناس سبقونا في الوجود وتبين مساهمتهم في تاريخنا وتاريخ البشرية وكيف أن نمط معيشتهم تعكسها بقدر كبير هذه المخلفات التي بقيت تشهد على ذلك الماضي العريق.

وبتظافر جهود الجميع نستطيع إنقاذ الكثير من المعالم الأثرية المهملة حاليا، والبحث عن الأخرى التي تنتظر ضربة فأس عالم الآثار لكي تنهض وتحكي تاريخ الأجداد.

وفي النهاية، تبين بشكل قاطع أهمية المخلفات الأثرية على اختلاف أنواعها وأشكالها، أنه لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة التاريخ القديم، بحيث تعتبر مصدر أساسي مثل بقية المصادر المكتوبة التي يعتمد عليها مؤرخ الفترات المعاصرة من التاريخ العام للبشرية.

الهوامش

1- الاعتماد على البقايا المادية كمصدر أساسي في كتابة تاريخ الشعوب القديمة، اعتماد حديث يعود إلى الأوربيين الذين نقبوا في الكثير من البقاع من أوربا قصد العثور على أدلة مادية تمدهم بمعلومات عن ماضيهم الروماني و من ثم الإغريقي. ثم جاءت التنقيبات التي حدثت في منطقة الشرق الأدنى القديم و قدمت معلومات جديدة عن حضارات لم تكن معروفة في السباق على الإطلاق. انظر تاريخ هذه الأبحاث عند: استيله فريدمان، التنقيب عن الماضي، أو الكشف عن الحضارات القديمة، ترجمة أحمد محمد عيسى، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة:
Anne Terry White, "Les Grandes découvertes de l'Archéologie", Marabout Université; 1960.
C.W. Ceram, "Des Dieux, des Tombeaux, des Savants", trad. Gilberte Lambriche, Plon, 1952. نتعرض لتاريخ الاكتشافات الأولى التي تمت في منطقة الشرق الأدنى القديم (مصر، العراق) وبلاد اليونان، أمريكا اللاتينية.

2- على اعتبار أنها خالية من كل علامات التسجيل، مما يعطي للباحث حرية الاستنتاج و الاستنباط العلمي السليم، و لا يكون تحت ضغط الظروف المحيطة به من فكرية أو سياسية، مثل ما يقع تحته المؤرخين الذين عايشوا الأحداث و سجلوا و كتبوا حولها.

3- قسطنطين زريق، التاريخ من أين والى أين؟ مجلة الفكر العربي، عدد 2، أوت 1978، ص..4

4- هاري إلمر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ج1، ترجمة محمد عبد الرحمن برج، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1984، ص.17

5- حدث عام 1859 أن أعلنت الجمعية الملكية اللندنية للعلوم، عن حقيقة، طالما وقع خلاف كبير حولها منذ عدة قرون، و هي أسبقية استعمال الحجارة قبل المعدن في حياة البشر، و هذا يدخل في منظور منطق التطور الذي مرت به البشرية لأنه لا يعقل أن يكون الإنسان قد اعتمد على المعدن قبل الحجر، و منذ هذه السنة بدأ مجال علم ما قبل التاريخ يتسع و يحقق نتائج علمية هامة.

6- راجع على سبيل المثال الكتاب المختصر لتاريخ هذه المرحلة و التقسيمات التي و ضعت لها:
Francis Hours. Les civilisations du paléolithique, coll. (Que-sais -je), Paris, 1982.

7- انظر Jonatha Nortan Léonard, Les premiers cultivateurs, Trad. Yvette Gogue, Coll. Time-Life, 1974. وكذلك كتاب بيتر فارب، بنو الإنسان ترجمة زهير الكرمي، سلسلة علم المعرفة، الكويت عدد 67 ،1983 .

8- حول الظروف التاريخية التي ساعدت على هذه النقلة الهامة، راجع: جوردون تشايلد، التطور الاجتماعي، ترجمة لطفي فطيم، الناشر مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1966 و كذلك ج هاوكس، أضواء على العصر الحجري الحديث، ترجمة و تعليق يسري عبد الرزاق الجوهري، دار المعارف، القاهرة، ص 17-.90

9- تعبير وضعه عالم ما قبل التاريخ (جوردون فون تشايلد) يقصد به مختلف (الثورات) التي حدثت خلال العصر الحجري الحديث من اقتصادية واجتماعية، مناخية، و جنسية أيضا، راجع G. Childe, De la préhistoire, trad. André Mansat & Jean Barthalan, Gallimard, Paris, P.71.

10- بين هذين الرقمين تحصر المدة الزمنية العصر " الحجري القديم " بمختلف أدواره، عمل على تقسيمه عالم الأثار (فرانسيس هورس. F. Hours) إلى أربعة أدوار رئيسية، معتمدا في ذلك على أحداث الاكتشافات التي تمت في شرق إفريقيا. وهي كما يلي:
1-العصر الحجري القديم العتيق من 2300 ألف سنة إلى 1400 ألف سنة. 2-العصر الحجري القديم الأسفل من 1300 ألف سنة إلى 100 ألف سنة. 3-العصر الحجري القديم الأوسط من 100 ألف سنة إلى 35 ألف سنة. 4-العصر الحجري القديم الأعلى من 35 ألف إلى 10 آلاف سنة. راجع كتابه. Les civilisations du Paléolithique, op. cit

11- عن كيفية ظهور القرى الأولى وتطورها إلى مدن، راجع على سبيل الإطلاع الكتاب المميز للباحث، لويس ممفورد، المدينة عبر العصور، ج1 (أصلها وتطورها ومسقبلها) ترجمة تحت إشراف إبراهيم نصحي، مطبعة مصر، 1964 .

12- من بين الأمثلة الكثيرة التي سمحت للمصادر الآثرية أن تعمل على تصحيح لبعض القضايا التاريخية، قضية تعديل تاريخ حكم الملك البابلي (حمورابي) الذي كان يؤرخ لحكمه بعد تواريخ مختلفة، قبل اكتشاف مدينة (ماري Mari) شمال سورية، اذ عثر المنقبون على ألواح طينية تضبط تاريخ حكم أحد ملوكها الذي كان معاصرا للملك البابلي، من خلال المراسلات التي تمت بينهما. راجع: خفة André Parrot, Archéologie Mésopotamienne, t.2, (Technique et problèmes), Albin Michel, 1953, pp.322-445.

13- هنري فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خوري، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1959 ، ص13 .

14- تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان وآخرون، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1967 ، ص.9

15- قصة الحضارة، ج2، ترجمة محمد بدران، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1961، ص10، وكذلك G. Childe, op, cit. 39.

قائمة المراجع

- بارنز، هاري إلمر، تاريخ الكتابة التاريخية، ج1، ترجمة محمد عبد الرحم برج، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة 1984.
- تشايلد، جوردون فون، التطور الاجتماعي، ترجمة لطفي فطيم، الناشر مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1966.
- ديورانت، ول، قصة الحضارة، ج ، ترجمة محمد بدران، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنش، القاهرة1961.
- زريق، قسطنطين، التاريخ من أين وإلى أين؟ مجلة الفكر العربي، عدد 2، أوت 1978.
- فارب، بيتر، بنو الإنسان، ترجمة زهير الكرمي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 67، الكويت، 1983.
- فرانكفورت، هنري، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خوري، منشورات مطبعة الحياة بيروت 1959.
- فريدمان، إستيله، التنقيب عن الماضي (أو الكشف عن الحضارات القديمة) ترجمة أحمد محمد عيسى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1966.
- ممفورد لويس، المدينة عبر العصور (أصلها وتطورها ومستقبلها) ترجمة تحت إشراف إبراهيم نصحي، مطبعة مصر، القاهرة 1964.

- مـورتكات، أنطون، الشرق الأدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان وآخرون، مطبعة الإنشاء، دمشق 1967.
- هـاوكس، ج، أضواء على العصر الحجري الحديث، ترجمة وتعليق يسري عبد الرزاق الجوهري، دار المعارف، القاهرة [د.ت].
- Ceram C.W., Des dieux, des tombeaux, des savants, trad.., Gilberte Lambriche, Plon, 1962.
- Childe Gordon Von, De la préhistoire à l'histoire, trad.. André Mansat & Jean Barthalan, Gallimard, Paris.
- Hours Francis, Les Civilisations du paléolithique, coll. “Que-sais-je”, Paris,1982.
- Léonard Jonathan Nortan, Les premiers cultivateurs, trad. Yvette Gogue, coll. “Time-Life”, 1974
- Parrot André, Archéologie Mesopatamienne, T.2, (technique et problèmes) Albin Michel, Paris, 1983.
- White Anne Terry, Les grandes découvertes de l'Archéologie, Marabout Université. □